McGill University Library
3 102 675 511 H

ISLAMIC
DS223
Z38327
1912

SHASTRI INDO-CANADIAN INSTITUTE
156 Golf Links,
New Delhi-3, India

C9 .Z395t .S5551
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES
★
McGILL
UNIVERSITY
53087

ASS

DEC 7 1971

Shibli
11

الانتقاد

al-Intiqad.

(علی)

کتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

(اعتنی بطبعه)

القاری محمد عبد الولی بن العلامة الاسی المرحوم

(طبع)

فی مطبعة انسٹی ٹیوٹ الکائنة فی محمود نگر لکنؤ

سنة ۱۹۱۲ ء

C 9
Z 3951
.S5551

جدول الصلاح ما وقع في طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٨	بسايه	بسايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	٠	〃	٤	لترويح	لترويج
〃	١٣	الخزانة	خزانة	〃	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلْتُ	حملت	〃	٩	تغير	تغيير
〃	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	بذورهم
〃	١٧	اتبز	ابتزّ	〃	٩	مهدى	المهدى
٤	١	لعرب	عرب				
〃	١٣	يحرّمون	يحرمون	〃	١٣	عرب	عربى
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	〃	١٤	عرب	عربى
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
〃	٤	ابن وقاص	ابن ابى وقاص	〃	٨	كوفة	الكوفة
〃	٦	حيرة	الحيرة	〃	〃	قضايه	قضائه
〃	١٤	وترميه	وترميهم	〃	〃	استنكفوا	لاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لانبايع
١٢	٢	ولدا	ولدًا
〃	٨	مرزولين	مرذولين
〃	١٠	المَل	المَلل
〃	١٦	يمن	اليمن
١٢	٦	الموالى	من الموالى
〃	١٠	المسايل	المسائل
〃	١٤	تعذر	تعذرت
〃	١٦	حسن	المحسن
١٣	١	يكون	تكون
〃	٤	المسايل	المسائل
〃	١٢	يمن	اليمن
١٤	١	حجاج	المحجاج
〃	له	عقد الفريد	العقد الفريد
١٥	٥	مرزولين	مرذولين
١٥	٩	الهجية	الهيجية
١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	〃	الطبعى	الطبيعى
١٨	١٠	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	١٦	لرمتها	لرمّها
١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	٨	مسايل	مسائل
١٩	١١	رمته	رمّه
〃	١٦	ولدٌ لمروان	ولدٍ لمروان
٢٠	١٥	بها	له
〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٦	يكن	تكن
٢١	٣	المراد	مراد
〃	٦	نال	نالت
٢٢	١	المختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج	〃	١٥	اليه	اليها
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ	〃	٢٨	طايفة	طائفة
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً	〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
٢٤	٦	ساير	سائر	〃	١٤	يجترئ	يجترئ
〃	٧	يسر	بسر	٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	الموثوقة	الموثوق	〃	٦	امية	مية
٢٦	٢	يستشن	يستثن	〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	٤	باس	بأس	〃	〃	ساير	سائر
〃	٥	كان	كانت	٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	〃	رافعا	رافعة	〃	١٢	احدًا	واحدًا
〃	〃	هادما	هادمة	٣٢	٢	للقريش	لقريش
〃	١٧	صنيعة	صنيع	٣٣	١	ليتس	ليس
٢٧	١	القايم	القائم	〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٨	قايمة	قائمة	〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم	〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۳	الجزيّة	الجزية
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم
〃	۱۶	الجزيّة	الجزية
〃	〃	يكن	تكن
〃	〃	شئ	شيئا
۳۵	۱	عمالٍ	عمالًا
〃	۳	لحرب	الحرب
〃	۸	نى	فى
〃	۱۶	البّ	تالّب
〃	۱۷	فتلوه	قتلوه
۲۶	۲	اشرس	الاشرس
〃	〃	اشرس	الاشرس
〃	۱۵	الجزير	الجزية
۳۷	۲	المؤلف	للمولف
〃	۱۳	لااجتراء	الاجتراء

صفحه	سطر	خطأ	صواب
۳۸	۱	لاان	الاف
〃	۵	الرهبة	الرهبنة
〃	۷	ولكن	لكن
〃	۹	اليهذا البحث	خاتمةهذا البحث
〃	۱۸	اهتدنا	اهتدينا
۳۸	۱۹	خيانا تها	خيانانه
〃	۲۰	التغيير	التغيير
۳۹	۵	اناشدك بالله	اناشدك الله
〃	۷	شاو	شأو
〃	۱۵	العرب	عرب
〃	〃	العرب	عرب
۴۰	۶	صع نوع	بنوع
〃	۸	المعاوبة	معاوية

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٣	انظروه	انظروا
〃	١٦	حوايج	حوائج
٤١	١٠	لملك	الملك
〃	١٥	حنفية	الحنفية
〃	١٦	كفاءة	كفاية
٤٢	١	هذه	هذا
〃	٥	خلفايهم	خلفائهم
〃	٨	سوال	سوآل
٤٣	١	المودبين	المؤدبين
〃	٥	ضرب	ضربت
٤٤	٥	هنا	هناك
〃	١٥	الذين	فان الذين
〃	٩	ببعة	سعة
٤٥	٨	صهاديج	صهاريج
〃	٥	الف	الاف
		نفوذا	نفودا
〃	١	المودبين	المؤدبين
〃	١٣	النضحيب فى	التصحيف فى
٤٩	٣	رجأ	رجاء
〃	٥	استودعت	استيداعها
〃	١٥	يوميذ	يومئذ
٥٠	٣	مدونوا	مدونو
〃	٤	فقد	.
〃	١٢	يزيد عبد	يزيد بن عبد
٥١	٨	سالة	سأله
〃	١٠	الماضيين	الماضين
٥٢	١٣	العلمين	العلمين
٥٣	٧	اذا	واذا
٥٤	١٣	موسس	مؤسس
〃	١٤	تضئيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥٥	١	انتها	انته
〃	٤	ذهب	ذهبت
〃	٧	القران	القرآن
〃	١٥	النصبغ	التصبغ
٥٦	١	يوموهم	بأموهم
〃	٤	من	عن
٥٧	٦	ساموها	ساموهم
〃	٨	مواضع	موضع
〃	١١	انفهم	انوفهم
〃	١٤	تشمأزعنها	تشمأزمنها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها
〃	٧	خاب	خابت
〃	〃	يكادلا	لايكاد

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	١٦	امرة	امره
٥٩	١	باحراج	باخراج
〃	٨	بهدم	هدم
〃	١٣	الخزانة	خزانة
٦٠	٢	تضريح	تصريح
〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	مّا	ما
٦١	١	محوبها	محوها
	،	ايضاجا	ايضاحًا
〃	٢	هذا	ذلك
〃	١١	قرءة	قراءة
〃	١٠	الايخيل	الانجيل
٦٢	٢	التشوقوا	تشوقوا

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٧	بالاخبار	بالاخبار
٦٢	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام
٦٥	١	عمو والوارى	عمو السوارى
〃	٩	يكن	تكن
	١١	يتصل	تتصل
	١٣	يكون	تكون
٦٦	٣	اخبار	الاخبار
٦٧	١٣	صار	صارت
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة
〃	١٧	لو	ان
٧٠	٩	وشام	والشام
〃	١١	حيا	حا
〃	١٣	ما	صا
٧١	١	الخزانة	خزانة
٧٢	١	كان ضاعف	ضاعت
〃	٧	عليهم	علمهم
〃	١٣	المصر	مصر
٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٧٤	١٤	فراينا	فرأينا
٧٤	١٧	نصارى اهل الشام	نصارى الشام
٧٥	٣	التضئيق	التضييق
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
٧٦	٩	فرجاة البيضا عة	بضاعته مزجاة
〃	١٠	اسماءًا	اسماءً

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
〃	١٠	لسان كالاردو	اللسان الاردوى
〃	〃	احد من اهل	احد اهل
〃	١١	شطرُ	شطرٌ
〃	١٥	لموثوقة	الموثوق
٧٢	١	كان ضاعف	ضاعت
〃	٧	عليهم	علمهم
〃	١٣	المصر	مصر
٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٧٤	١٤	فراينا	فرأينا
٧٤	١٧	نصارى اهل الشام	نصارى الشام
٧٥	٣	التضئيق	التضييق
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
٧٦	٩	فرجاة البيضا عة	بضاعته مزجاة
〃	١٠	اسماءًا	اسماءً

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكًا
〃	〃	محمد	احمد
٧٧	٩	سبحنه	سبحنه
٧٨	١٣	نسختة	نسخة
٧٨	٨	الحماد	لحماد
٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
٧٩	١٢	وجها	وجهها
〃	١٤	بخلبع	بخلع
٨٠	١٢	من احد	احد
〃	١٦	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر مدار العجايب، ومن احدثى عجايبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب، ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئا فشيئا فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصا۔

وكان يمنعنى عن النهوض الى كشف دسايسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

53087

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشرّ لم اُطق الصبر فاخلستُ من
من اوقاتى ايّامًا وتصديت للكشف عن عوار هذا التاليف والابانة عما فيه
من انواع الافكِ والزورِ واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف

انى ايّها الفاضل المولف غير جاحد لمنتك فانك قد نوّهت
باسمى فى تاليفك هذا وجعلتنى موضع الثقة منك واستشهدت باقوالى و
نصوصى ووصفتنى بكونى من اشهر علماء الهند مع انّى اقلهم بضاعة واقصرهم
باعًا واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحنى وتهجو العرب
فتجعلهم غرضا لسهامك ودريّة لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم
كل دنيّة وشر حتى تقطعهم ارباا وتمزّقهم كل ممزق وهل كنت ارضى بان تجعل
بنى امية لكونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوئهم يفتكون بالناس ويسومونهم
سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل ويقتلون الذرية وينهبون الاموال و
ينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفّون بالقران،

وهل كنتُ ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر
ابن الخطاب الذى قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح
بنى العباس فتعدّ من احدى مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الكلب حتى ضرب
بذلك المثل وان المنصور بنى لقبة الخضراء ارغامًا للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين
استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القران وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فى سامراوجعل حولها طوافا واتخذ ضنى وعرفاتٍ۔

وهب انى عدمت الغيرة على الملة والدين وافتخرت كصنيع بعض الاجانب بانى فلسفى بحت عادمٌ لكل عاطفةٍ ووجدان فلا ارضى ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتالّم وهب انى حمّلت نفسى على احتمال الضيم وقبول المكروه والصمم عن البذاء ومجازاة السيّئة بالحسنة ومكافاة الخبيث بالطيب فهل كنت ارضى بان تُشوّه وجه التاريخ وتدمغ الحق وتروّج الكذب وتفسد الرواية وتقلب الحقيقة وتنفق التُّهم وتعود الناس بالخرافة۔ بئس ما زعمت ايها الفاضل فان فى الناس بقايا وان الحق لا يعدم انصارا

إنّ الغاية التى توخّاها المؤلّف ليست الا تحقير الامة العربية وابداء مساويها ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة، غيّر مجرى القولِ ولَبّس الباطِلَ بالحقّ بيانُ ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوارٍ دور الخلفاء الراشدين، ودور بنى امية ودور بنى العباس، فمدح الدور الاول وكذلك الثالث (ظاهرا لا باطنا كما سيجئ) ولما غرّ الناسَ بمدحه للخلفاء الراشدين وهم سادَتُنا وقدوتنا فى الدين، ومدحه لبنى العباس وهم ابناء عمّ النبى وبهم فخارُنا فى بثّ التمدن وأبهةِ الملك، ورأى انّ بنى امية ليس لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرّغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم وما خلّى حسنة الا واتبزها منهم، ثم لو كان هذا لاجل انهم من آل مروان او لكونهم من سُلالة

اُمیّة لکنّا فی غِنیً عن الذبّ عنهم والحمایة لهم ولکن کُلّ ذنبهم انهم العرب علی صرافتهم ما شابتهُم العجمیّةُ مُطلقًا کما قال

"ویمتاز (ای دولة بنی امیة) عن الدولة العباسیة بانها عربیة بحتة" (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربیّة اساسها طلب السلطة والتغلب" (الجزء الرابع صفحة ۱۰۳)

عصبیة العرب علی العجم

اطال المولف واطنب فی اثبات هذه الدعوی فذکر طرفا منه فی الجزء الثانی مدسوسا (انظر صفحة ۱۸) ثم جعل له عنوانا خاصًّا فی الجزء الرابع (۵۸)

وهذه نصوصه،

"فان العرب کانوا یعاملونهم مُعاملة العبید"

"واذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلك تواضُعًا لله"

"وکانوا یُحرّمون الموالی من الکُنی ولا یدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معهم"

"وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰة الا ثلثة حمارٌ او کلبٌ او مولیً"

"فکان العربی یَعُدّ نفسه سیدا علی غیر العربی ویری انه خُلق للسیادة وذاك للخدمة"

"فتوهم العرب فی نفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا یحمل فی سنّ الستین الا قرشیة ** وان القالج لا یصیب ابدانهم" "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربیّ وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا ** ولا یزوّجون الا عجمی عربیة ولو کان امیرًا وکانت هی من احقر القبایل"،

"وکان الامویّون فی ایام معاویة یعدّون الموالی اتباعًا وارقّاءً وتکاثروا فادرک معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ ان یامر بقتلهم کلّهم او بعضهم"،

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارًا شتّی،

فمنها تعمد الکذب کما سنری"،

ومنها تعمیمه لواقعةٍ جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقةٍ مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاک امثلةً من کل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعًا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوة الا ثلثة" الخ،

غيرُ خافٍ على من له المامٌ بتاريخ الفرس والعرب ان الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدري به ولما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم اشمأزّ وقال عبدي يكتبُ اليّ وكتب يزدجرد الى سعد ابن وقاص فاتح القادسية ان العرب مع شُرب البان الابل واكلِ الضبِّ بلغ بهم الحالُ الى ان تمنّوا دولة العجم فأفٍّ لكَ ايّها الدهر الدايرّ، و كانت ملوك حيرة تحتَ امرةِ ملوك العجم.

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفتِ العربُ من العجم و استنكفوا من سيادتهم عليهم

وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر ونخوة فقال رسول الله في خطبته الاخيرة في حجة الوداع، ان لا فضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي كلكم ابناء ادم"

وحينئذٍ ارتفع التمايز وتساوى الناس ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة في صدورهم كانت سببا لحدوث حزبين متقابلين يُسمّى احدهما الشُعوبيّة وهي التي تحتقر العرب وترميه بكل معيبة حتّى ان اباعبيدة صنّف كتبًا عديدةً يطعن فيها على انساب كل قبيلة من قبايل العرب، والثاني المتعصّبون للعرب وقد عقد العلّامة ابن عبدربّه في كتابه العقد الفريد بابًا في جمع كلا الطرفين

واقوالهما ومعظم ما نقله المولف فى اثبات عصبية العرب هى اقوال ذكرها صاحب العقد فى هذا الباب كما لوّح به المولف فى هامش الكتاب. واذا تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التى نسبها الى العرب عموماً انما هى اقوال شرذمةٍ خاصةٍ موسومة باصحاب العصبية وصاحب العقد حيثما ذكر هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبية من العرب"، وانت تعلم ان هذه العصبة ليست كافّة العرب ولا اكثرها بل ولا عشر معشارها فانك سترى انّ هؤلاء اُناس شرذمة مغمورون فى الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل رُبّما نسب قول رجل مُعيّن معلوم الاسم الى العرب عامة،

فقال ناقلا عن كتاب العقد "وكانوا يكرهون ان يصلوا خلف الموالى واذا صلّوا خلفهم قالوا انّا نفعل ذلك تواضعا لله" فان صاحب العقد نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولا عاما للعرب وهذه الصنعة اعنى تعميم الواقعة الجزئية هى اكبر الحيل التى يرتكبها المؤلف لترويج باطله بل هى قطب رحى تاليفه،

قال المؤلف "فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهمّ ان يامر بقتلهم كلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحة ٥٩) ان نص معاوية الذى نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا، "كانى انظر الى

وثبة منهم على العرب والسلطان فرايت ان اقتل شطرًا واَدَعَ شطرًا" فانت ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة وقال ان معاوية همّ ان يأمر بقتلهم كلّهم.

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب وايم الله لو كنت تقف على عبارة الطبقات لوقعت فى شدّ حيرة من اجراء المؤلف على قلب الحكاية وتغيير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة عيسى الطبيب الراجح انه نصرانى ان المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء ولا انسلهم فالج ابدًا الا ان يبذروا ابذورهم فى الرومیات والصقلبيات وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتلّ بعلة شبيهة بالفالج ودعا يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عيسى ابن قريش فى المهدى وولده انه لا يعرض لعقب الفالج
الا ان يبذروا بزورهم فى الروميات وانه قد آمل ان يكون الذى به فالجا
لا عارض الموت، فقلت لا اعرف لانكارك هذه العلة معنى اذا كانت أمك
التى قامت عنك دنبا وندية ودنبا وندا شد برداً من كل ارض الروم
فكانه تفرج الى قولى وصدقنى واظهر السرور،،

فانت ترى ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما كان مبناه حر
ارض العرب وليس له ادنى مساس بشرف النسل ولو كان كما يتبادر
الى اذهان من علا سماء اباء المهدى فهو يختص بعايلة النبى عليه السلام
لا يفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة مهدى)
ان امه من دنبا وندا وهو اشد برداً من ارض الروم، ذهب عنه
استغرابه عروض الفالج له،

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات ترى
ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا يدرى انه عربى ام لا وغالب الظن
انه نصرانى وهب انه عرب فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف
الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافة

قال المؤلف، ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء
فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربى (الجزء الرابع صفحة ٦) واسند هذه الرواية الى ابن خلكان

حقيقة هذا القول انّ الحجّاج لمّا اسر سعيد بن جبير التابعى المشهور وكان من الموالى قال له ممتنّا عليه اما جعلتك اماما للصلوة فى الكوفة ولم يكن فى الكوفة الا العرب قال ابن جبير بلى ثم قال له الحجّاج اليس انّى لمّا اردت ان اولّيك قضاء الكوفة ضجّ العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربىّ وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولا يخفى عليك ان كوفة لم يكن اذ ذاك فيها الا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفا بعوايد الامة مطلعا على خصايصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف اهل كوفة من قضايه لاجل كونه من الموالى استنكفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وهذا ابو حنيفة كان من الموالى واراد وان يولّوه القضاء فى عصر بنى امية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصّلا،

قال المؤلف "وحرّموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان قرشيا" نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعى كانت بنو امية لا يبايعون لبنى امهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن ام ولد[1]، اما ما استدلّ به المؤلّف من قول هشام بن عبد الملك لزيد بن على

[1] انظر الجزء الثانى من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٣٠

انك ابن امة ولذلك لا تصلح للخلافة فقد ردّ عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب اروما واصدق قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نحقق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا اذلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى اميّة كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزّة يعترف لهم العرب بالفضل والسّودد ويوفّى لهم او فى قسطٍ والمل حق اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباح هو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام،	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابى حبيب،
الجزيرة،	ميمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصرى،
الكوفة،	ابراهيم النخعى،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعى كانوا الموالى وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بنى امية وولاة الامر،

فاما عطاء بن ابى رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فى الفتوى وعليه المعوّل فى المسايل، قال ابن خلكان فى ترجمته قال ابراهيم بن عمر وبن كيسان اذكرهم فى زمان بنى امية يامرون فى الحج صايحا يصيح "لا يفتى الناس الا عطاء بن ابى رباح"، وهل يمكن ان ينادى بمثل ذلك من غير رضى الخلفاء واما طاؤس فلما قضى نحبه بمكة ازدحم الناس فى جنازته حتى تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا على مكة فاستعان بالشرطة ومشى فى جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعا نعشه على عاتقه وصلّى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموى ذكر كل هذا العلامة

ابن خلكان فى ترجمة طاؤس فهل يكون منزلة اعظم من ذلك،

واما مكحول الشامى فاحد الائمة المتبوعين وقال الزهرى لعلماء اربعة فلان وفلان ومكحول واما يزيد بن ابى حبيب فهو الذى ارسله عمر بن عبد العزيز ليفقه الناس فى مصر ويفيتهم فى المسايل وهو المعلم الاول لهم كما صرح بذلك السيوطى فى حسن المحاضرة واما ميمون بن مهران فمع فضيلته وسيادته كان اميرًا على الخراج فى الجزيرة كما صرح به ابن قتيبة فى المعارف اما حسن البصرى فحدث عن البحر ولا حرج، يذعن له الملوك والسادة والفؤاد وعليه المعوّل واليه المنتهى،

ذكر السخاوى فى شرح الفية الحديث للعراقى (طبع لكهنؤ صفحہ ٩٩ و ٩٩) ان هشامًا قال للزهرى من يسود اهل مكة قال عطاء قال بمساد هم قال بالديانة والرواية قال هشام نعم من كان ذا ديانة حُقّت الرياسة له ثم سأل عن يمن قال طاؤس وكذلك سأل عن مصر والجزيرة وخراسان والبصرة والكوفة فاخذ الزهرى يعدّ اسماء سادات هذه البلاد وكلما سمّى رجلا كان هشام يسأل هل هو عربى ام مولًى وكان يقول الزهرى مولًى الى ان اتى على النخعى وقال انه عربى فقال هشام الآن فرجت عنى والله ليسودنّ الموالى العرب ويخطب لهم على المنابر والعرب تحتهم،

ان التابعين لهم اعلى محل فى تاريخ الاسلام - وراسهم

سعيد بن جبير وهو اسود وقد ولاه حجاج بن يوسف امامة الصلوٰة فى
الكوفة كما ذكره ابن خلكان فى ترجمته والكوفة اذ ذاك جمجمة العرب
وقبة الاسلام وهل يصح بعد ذلك دعوى المؤلف ان العرب كانت
تستنكف عن الصلوٰة خلف الموالى،

وهذا سليمان الاعمش استاذ الثورى كان عبدا عجميا وكان بمنزلة
من العز والشرف انه لما كتب اليه الخليفة هشام بن عبد الملك
ان يكتب له مناقب عثمان ومساوى علىٍ اخذ كتاب هشام والقمه عنزًا
كان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب كتابك (ابن خلكان
ترجمة الاعمش)

وهذا حمّاد الراوية الذى دوّن المعلقات وله المكانة الكبرى فى
الادب والشعر كان عبدًا اسود وكانت ملوك بنى امية تقدمه وتوثره
وتستزيره كما ذكره ابن خلكان،

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر كان ابن امة ولما دخل الخليفة
هشام بن عبد الملك المدينة ارسل اليه يدعوه فاعتذر فدخل
عليه هشام ووصله بعشرة الاف ثم لما حجّ ورجع كان سالم
اذ ذاك مريضا فذهب لعيادته ولما توفّى صلّى عليه وقال
لا ادرى بأىّ الامرين انا اسرّ بحجتى ام بصلوتى على سالم، له

له عقد الفريد ترجمة هشام بن عبد الملك

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العباس المبرّد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب لا يدع مجالا للريب - ولا متسعا للشك، قال

" وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام موالیها، ولمّا رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيدا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل وقالت عائشة لو كان زيد حيّا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلّت اسامة علىّ وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احبّ الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة اذى من مخاط او لعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله.... وكان ادّى الى بنى قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال على بن ابى طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهدىّ نظر اليه وبيد عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخى وابن عمى عمارة بن حمزة فلمّا ولّى الرجل ذكر ذلك المهدىّ كالمازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول "ومولاى" فانقض والله يدك من بين يدى فتبسم امير المؤمنين المهدى ولم يكن الاكرام للموالى في جفاة العرب زعم الليثى انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدى مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان صفنى والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عدلت عنه وان وجّه الىّ مولى مثل هذا واومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضّا

لما يكره وتجهت اليه واومأ الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى
تبهأ بمثله العرب قيل لرجل لابيه والمولى لموالية وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل
طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمرات الصدقة
فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا
ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال
نازع عمرو بن هدّاب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى
حتى أذن له فى داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم
قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة
ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مرّ عليه بالجنازة سأل عنها
فان قيل قريش قال اقواماه وان قيل عربى قال واماداتاه وان قيل مولى وعجمى قال
اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو
بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم
عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لاخر ترى هذه العجم
تنكح نساءنا قال اترى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل
ذلك" انتهى (صفحة ١٠، و١١، و١٢، طبع اوربا)

تدل هذه النصوص على امور،

١- ان اكرام الموالى كان من ديدن العرب عامة وقريشها خاصة-

٢- لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم

٣- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على
استحقار العرب للموالى والعجم كما لا يسوغ الاستدلال باقوال علّان وامثاله على ازدراء العجم للعرب

ولو اخذنا فى تعداد امثال هذه الوقايع لطال الكلام ومل الناظرون ويظهر مما مرّ عليك ان الموالى كانوا فى ايام بنى امية باعلى محل من الشرف والمكانة وكانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدى بهم وترفع شانهم، فما صح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالى وابناء الاماء كانوا فى عصر بنى امية فى زوايا ساقطين يُزدرى بهم ولا يقام لهم وزنٌ وكان العرب وبنو امية يعاملونهم معاملة العبيد،

مثالب بنى امية

المقصد الذى جعله المؤلف نصب عينه ومرمى غايته هو ان الامة العربية اذا بقيت على صرافتها فهى جامعة لجميع اشتات الشر اى الجور والقسوة والهمجية وسفك الدماء والفتك بالناس ولكن لما كان لا يقدر على اظهار هذا المقصد تصريحا احتال فى ذلك فغمّض المذهب وجعل الكلام طيّب الظاهر وذلك بان قسّم عصر الاسلام الى ثلثة ادوار - فمدح سياسة الخلفاء الراشدين وقال بعد مدحها.

على ان سياسة الراشدين على الاجمال ليست مما يلايم طبيعة العمران او تقتضيه سياسة الملك وانما هى خلافة دينية توفّقت الى رجال يندر اجتماعهم فى عصر - فاهل العلم للعمران لا يرون هذه السياسة تصلح لتدبير الممالك فى غير ذلك العصر العجيب وان انقلاب تلك الخلافة الدينية الى الملك السياسى لم يكن منه بد (الجزء الرابع، صفحه ٣٠ و ٣١)

فاثبت بذلك انّ سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة اما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انّه دولة عربيّة بل لكونها فارسية مادّة وقواماً موتلفاً ونظاماً وصرّح بذلك فقال"

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل في عصر الدولة العباسية لانّ تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودياناتها في فارسيّة من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادّاروا شيونها ومنهم وزرائها وامراؤها وكتابها وحجابها، (الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار في غير موضع انّ الدولة العربيّة الناذجة انما هي دولة بني اُميّه فقال،

"وجملة القول انّ الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٢)

"وظل العرب في ايام بني امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وآدابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت انّ خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعي وانّ دولة بني العباس دولة فارسية وانّ الباقي على صرافتها هي الدولة الاموية

اخذ يعدد مثالب بنى امية تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين واهله ومنها الاستهانة بالقران والحرمين ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس واتى فى مطاوى هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس والان اذكر نبذًا منها واكشف عن جلية حالها،

الاستهانة بالقران والحرمين قال المؤلف تحت هذا العنوان،

"اما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين ** لانه صرح باستهانة الدين منذ ولى الخلافة ... ذكروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة كان قاعدًا والمصحف فى حجره فاطبقه وقال هذا اخر العهد بك او هذا فراق بينى وبينك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة ** وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثا وهدموا الكعبة وهى بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحة ٨٠ و ٧٩)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم فى ازدياد وبازائه بنو امية فى الشام فلما تولى عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير

بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير كما يجي تفصيله

يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبير

ولكونه لاذًا بالكعبة اضطرّ الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز

عن رمي الكعبة فحوّل وجهها الى زيادة ابن الزُّبير فانظر كيف غيّر المؤلف مجرى

الحكاية فصدّر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين ثم ذكر ان عبد الملك قال

للقرآن هذا فراق بيني وبينك وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم

الكعبة وايقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهّم بل يستيقن ان

عبد الملك تفرّغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل

الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته وقتال ابن الزبير كان اتفاقًا لانه دافع عن مكة او

لكونه ايضا من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصيل الواقعة وتعيين بادئ الظلم

فهو ان ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني امية من المدينة فخرج مروان

وابنه عبد الملك وهو عليلٌ مجدَّرٌ فاستولى على الشام وصدرت من ابن الزبير

افعالٌ نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بني هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء

حتى انه ترك الصلوة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل

سوء يرفعون رؤسهم اذا سمعوا به[1] ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن

الا لرمّتها واصلاحها ولكن لم يكن هذا ما لوفا للناس فلذلك تحرز النبي عليه السلام

[1] اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٣١١ من الجزء الثاني [2] الجزء الثاني من اليعقوبي صفحة ٣١١

عن ادخال الحطيم فى الكعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسيلة لاغراء الناس على
ابن الزبير ولعل ابن الزبير كان مضطرا الى هذه الاعمال ولكن من شريطة العدل
ان نوفى كل احد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبير فعبد الملك احق منه
اعتذارا فان ابن الزبير هو البادئ والبادئ اظلم ويظهر من هذا ان عبد الملك
ما اراد الحط من شان الكعبة ومس شرفها ولكن اضطر الى قتال ابن الزبير فوقع
ما وقع عرضا غير مقصود بالذات ولذلك لما نصب الحجاج المناجيق على الكعبة
حولها عن الكعبة وجعل الغرض الزيادة التى كان زادها ابن الزبير صرح بذلك
العلامة البشارى فى احسن التقاسيم ثم ان من مسايل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا
بالكعبة لا يمنع هذا عن قتالهم ولذلك امر النبى فى وقعة الفتح بقتل احدهم وهو
متعلق باستار الكعبة وابن الزبير كان عند اهل الشام من البغاة والمارقين عن الدين
ولو كان اراد الحجاج الاستهانة بالحرم فما كان مراده من رمته واصلاحه
بعد قتل ابن الزبير ومعلوم ان تعمير الحجاج هو اليوم كعبة الاسلام وقبلة المسلمين كافة
اما قول عبد الملك للقران هذا فراق بينى وبينك فحقيقته ان
عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكا منقطعا الى العبادة لا يشتغل بشىء من الدنيا
قال نافع ما رايت فى المدينة اشد نسكا وعبادة من عبد الملك ولما سالوا ابن
عمر الى من نرجع فى الفتوى بعدك قال ولد المروان وكان يقول ابن الزناد الفقهاء
فى المدينة سبع احدهم عبد الملك وقال الامام الشعبى ما جالست احدا الا وجدت

عليه افضل الاعبد الملك بن مروان، ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطى فى تاريخه للخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو يقرء القرآن تصوّر خطاء الامروان مثل هذا العبأ لا يمكن تحمّله الا لمنقطع اليه فقال تحسّرا هذا اخر العهد بك، اى الآن لا يمكن الانقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دابى وديدنى، وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقا فانّا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسّنن فيما بعد فهو يصوم ويصلى ويحج قال اليعقوبى فى تاريخه واقام الحج للناس فى ولايته سنة ٧٢ الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة الحجاج ايضا وسنة ٧٤ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٥ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٦ ابان ايضا وسنة ٧٧ وسنة ٧٨ ابان ايضا وسنة سليمان بن عبد الملك (وسرد باقى السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذى كسا الكعبة الدّيباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

"ويحتزّ راسه بيده داخل مسجد الكعبة" (الجزء الرابع صفحة ٧٩)

استند المؤلف فى هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب فى مثل هذه الوقايع هو من احدى حيل المولف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة فى الطبرى وابن الاثير وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوقة بها وعليها المعوّل واليها المرجع لكن لما لم يكن كيفية الحادثة فى هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها

وتشبّث بكتابٍ هو فى عداد المحاضرات انا يُرجع الى امثاله اذا لم يكن فى الباب مستند غيره ومتى سالم يُخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبد الله بن الزبير اُصيب فى الجحون وقُتل هناك قتله رجل من المراد وما احتزّ راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"،

قدّمنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصبه لمناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت مُتّصلةً بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتبّ القتال اوّل ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئٌ واحدٌ،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزّقه وانشد،

اتوعد كل جبارٍ عنيد ... فها انا ذاك جبارٌ عنيدُ

اذا لاقيت ربك يوم حشرٍ ... فقل يا الله مزّقنى الوليدُ

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلومٌ ان صاحب الاغانى شيعىٌّ ديانته شنآن بنى اُميّة والحطّ منهم اما الابيات فانّ التوليد ظاهرٌ عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقد الروايات والذين

قولهم فصل فى هذا الباب فيجعدون امثال هذه الروايات المختلفة قال العلامة الذهبى وهو راس الحديث ومرجع الرواية "لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك" (تاريخ الخلفاء للسيوطى ترجمة الوليد)

ثم ان هناك امرا اخر وهو ان الناقم على الوليد وقائله هو خليفة اموى فكيف ينسب استهانة الدين الى خلفاء بنى امية عامتهم ثم ان هذا الذى عزا اليه صاحب الاغانى الاستهانة بالقران قد ذكر له صاحب العقد ما ينبغ عن تعظيمه للقران وتفخيمه شانه وحث الناس على حفظه وتعهده قال صاحب العقد انه شكا رجل من بنى مخزوم دينا لزمه فقال (الوليد) اقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقا قال يا امير المومنين كيف لا اكون مستحقا فى منزلتى وقرابتى قال قرأت القران قال لا قال فادن منى فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضيب فى يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا الجاهل ولا تفارقه حتى يقرء القران فقام اليه اخر فقال يا امير المومنين اقض دينى فقال له اتقرء القران قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرء فقال نعم نقضى دينك وانت اهل لذلك" فانت ترى ان الوليد يعد من لا يقرء القران عالما والمولف يعد الوليد عالما

فاما ما ذكره المولف من اقوال الحجاج وخالد القسرى انهما كانا

له الجزء الثانى صفحة ٢٥٠

يفضّلان الخلافة على النبوة فسمعان اكثر هذه الاقوال ماخوذ من العقد الفريد
وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من
اشرار الامة حقًّا ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسية
كالجارودية وابن الراوندي الذي عمل كتابًا رد فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا
كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية
وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما
من بني امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشامًا قال "هل الحجاج استقر في
جهنم او يهوي الى الان" ولما وصل هشام ان خالدًا القسري استخفّ بامرة
مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلًا او رجلين من بني امية بالطاعن لا اعترض به
ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعةً والفذّ نوعًا والنادر عامًا
والشاذّ مطردًا۔

جور بني امية سمعنا بظالم بخت نصر واحطنا علمًا بشنايع چنگيز خان واطلعنا
على ما جنته ايدي التتر فوالله (لو صدق المولف) عمرًا كانوا اشد قسوة
ولا افظع اعمالًا ولا اسفك دماءً ولا اجمع لانواع الفتك من بني امية،

قال المولف، حتى في ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة ×× ×
وارسل معه جيشًا ويقال انه (اي معاوية) اوصاهم ان يسيروا

في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي ولا يكفوا ايديهم عن النساء
والصبيان (الجزء الرابع صفحة ٨٢)

قبل ان اكشف عن جلية الامر لا بدّ من تقديم مقدمة، وهي ان المؤلف
مدح بني العباس وجعل اعمالهم مناط العدل ودلالة على الرفق فقال،
ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان العدالة
توطد دعايم الامن واذا امن الناس على ارواحهم وحقوقهم تفرغوا
للعمل فتعمر البلاد ويرفه اهلها ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة ٨١)

وعلى هذا فاذا وجدنا بني اميّة مُعادلين لبني العباس في جميع اعمالهم سواءً
بسواءٍ كان اختصاصهم بالذم دون بني العباس جورًا فاحشا وميلًا عظيما، ثم ان هناك
امرا خر وهو ان المورخين باسرهم كانوا في عصر بني العباس ومن المعلوم انه لم يكن
يستطيع احد ان يذكر محاسن بني امية في دولة العباسيين فاذا صدر من احدٍ
شيءٌ من ذلك فلتة كان يقاسي قائلها انواعا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة
وكم لنا من امثال هذه في اسفار التاريخ، ومع اننا نفخر بان مورخي الاسلام كانوا
اصدق الناس رواية واجرءهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة
سلطة ملكٍ ولا مهابة جائر ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق
ولذلك نعتقد انهم ما قالوا شيئًا افتراءً على بني امية ولكن ان قلنا انهم كثيرا ما
سكتوا عن محاسنهم فذلك شيء لا يدفع وليس فيه غضٌّ من شانهم.

اما بنو العباس فكانوا في عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس - رضاهم الحيوة وسخطهم الموت، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الابعد مخاطرة النفس والاقتحام في الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الى قول المولف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان، اعلم ان هذه الواقعة اي ارسال بسر ابن ارطاة الى شيعة عليٍّ من اشهر الوقايع المذكورة في سايركتب التواريخ وليس في احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية قال المورخ اليعقوبي ووجه معاوية بسر بن ارطاة وقيل بن ارطاة العامري من بني عامر بن لوي في ثلثة الاف رجلٍ فقال له سِرْ حتّى تَمُرَّ بالمدينة فاطْرِدْ اهلها واَخِفْ مَنْ مَرَرْتَ بها وانْهب مال من اصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا واَوْهِمْ اهل المدينة انّك تريد انفسهم وانه لا براءة لهم عندك حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة ثم امض حتى تاتي صنعاء فانّ لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمرّ بحيٍّ من احياء العرب الا فعل ما امره معاوية (اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٢٣١ من الجزء الثاني)

فترى في هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام لما راى المولف ان المصادر التاريخية الموثوقة بها لا توجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل امر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد بسر ولم يعيّن لهُ حدودًا وكان بسر سفاكًا للدماء فلم يستثنِ طفلًا ولا شيخًا"

قد قلنا ان الاغانى من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هينًا وكان الحديث فكاهةً او تسلّيًا من كدّ العمل الى استراحةٍ فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعةُ معتركَ الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا لشانٍ اوهادمًا لاساسٍ فامثال هذه الكتب لا يوذن لها ولا يُلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغانى) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويُدنّسه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قال المولف "فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبد الملك مع شدّته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف او مائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابى مسلم

الخراسانى القايم بدعوة بنى العباس الموسس لدولتهم فانه قتل صبرا بدون حرب ما يبلغ عدده ستماية الف وقد اعترف به المولف فى هذا التاليف نفسه (الجزء الرابع صفحة ١١٢) والمولف يحتال لذلك عذرا ويحسبه من طبيعة السياسة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربٌ قحٌ طبعه الجفاء والقسوة اما ابو مسلم فعجمىٌ تربّى فى حجر التمدن وغذى بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك كان اشدّ وطاةً منه" (اى من الحجاج) فلم يات عليه بشاهد غير غدره بعمر بن سعيد واين هذا من غدر المنصور العباسى بابى مسلم الذى هو ربُّ الدولة العباسية ولولاه لما قامت للعبّاسيّين قايمة ولا كان لهم ذكرٌ وكذلك غدر المنصور بابن هبيرة،

وغاية ما يقضى منه العجب ان المولف بعد ما ذكر فتك بنى امية بقوله "وقد نفقتهم هذه السياسة (اى سياسة الفتك) فى تائيد سلطانهم ثم قال "صارت سُنةً فى من ملك بعدهم من بنى العباس وغيرهم" وانت تعلم ان المولف يبرّئ ساحة العباسية من الجور والظلم فضلاً عن الفتك فهل هذا تناقضٌ فى القول او اراد بهم نفعا فضرّهم من حيث لا يعلم لا والله لا هذا ولا ذاك بل هى من مكايد المولف التى لا يهتدى اليه الا فطِنٌ خبير بطوية الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعًا من الجور والشدّة الصادرة من عمال بنى امية ونحن نذكر بعضا منها مع كشف الحقيقة،

قال يذكر جور العمال "واذا اتى احدهم بالدراهم ليودیها فی خراجه يقتطع الجابی، منها طايفةً ويقول هذا واجها وصرفها" (الجزء الثانی صفحة ٢٢ واستند فی الهامش بكتاب الخراج لابی يوسف صفحة ٦٢)

ايها الفاضل المولف! اليس لك وازع من نفسك، اليس لك رادع من ديانتك. اتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة فان القاضی ابا يوسف ما تكلم فی شان عمال بنی امية بينت شفته وانما ذكر عن عمال هرون الرشيد واساءتهم العمل فی جباية الخراج وكتاب الخراج لابی يوسف بين ايدينا وقد طبع فی مصر وتداولته الايدی وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفی كلام القاضی ابی يوسف فی عرض وصيته للرشيد بشان عمال الخراج ما يبين الطرق التی كان اولياك الصغار يجمعون الاموال بها قال "بلغنی انه قد يكون فی حاشية العامل والوالی جماعة منهم لربه حرمةً ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرارٍ ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم فی عمالة يقتضی بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينفقون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شئ من الخراج كان او من اموال الرعية ويقيمون اهل الخراج فی الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم عما يمنعهم من الصلوة وهذا عظيمٌ

عند الله شنيع في الاسلام (الجزء الثاني صفحة ٢٣ و ٢٤ مستندًا
الى كتاب الخراج صفحه ٦١ و ٦٢)

الله اكبر! هل سمع احدٌ باعظم من هذا التدليس والتلبيس يشتكي القاضي
ابو يوسف من عمال هرون الرشيد ويرفع القضية اليه ويبين ما بلغه
مما يرتكب عماله في اخذ الاموال من الرعايا، فيأخذ المولف اقواله وينقلها من حيث
انها هي الطرق التي كان عمال بني امية يجمعون الاموال بها، ها هو كتاب الخراج
بايدينا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وكررنا فيه النظر لا كرّة او كرّتين بل مرّات
متوالية متتابعةٍ فما وجدنا فيه كلمة في شان عمال بني امية وانما قال ما قال
ابو يوسف يعظ الرشيد بما بلغه عن عماله الى ان خاطبه بقوله،

فلو تقرّبت الى الله عزوجل يا امير المومنين ابا الجلوس لمظالم رعيّتك
في الشهر او الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم
رجوت ان لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ولعلك لا تجلس الا مجلسا
او مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك
على ظلامه فلا يجترئ على الظلم » « مع انه متى علم العمال والولاة
انك تجلس للنظر في امور الناس يوما في السنة ليس يوما في الشهر
تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (كتاب الخراج
صفحة ٦٣ و ٦٤)

لا فُضَّ فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف
واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب
النكبة بالبرامكة والكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة
عمال بني امية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فاعوزك
كل هذا وما وجدت في اعمالهم شيئاً من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال
الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجاً في ابتزاز الاموال من اهل البلاد
التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها في حُلٍّ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥٠)
الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه
"وكان من جملة نتايج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم سايرالامم
انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رقاً حلالاً لهم يدل على
ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش
ما شيئاً اخذناه منه وما شيئاً تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا
لما سأله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا
ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩١)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلاً على ان العرب
وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظناً منهم ان اموالهم

واعراضهم أبيحت لهم مطلقا۔

حقيقة القول انه لما فتحت البلاد فى خلافة الفاروق تقدّم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا ان الارض مقسومه بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وُفِّقَ الى الاستناد بنصّ القرآن فسكتوا ورضوا والقصّة مذكورة بتفاصيلها فى كتاب الخراج للقاضى ابى يوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فمتى كان الخراج او الجزية شيئًا مُسمًّى مُعيّنًا ما كانوا يزون الزيادة عليه وان كثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فكان الخراج او الجزية عليها بقدر النقص والزيادة وهذا هو قول عمر "ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم" وقد اشار الى ذلك المقريزى فى تاريخه والعلامة السيوطى فى حسن المحاضرة فاما قول سعيد بن العاص الذى استند به المولّف فتحريف الكلام عن موضعه على جارى عادته فان المولف نقل هذه الرواية من الاغانى والمذكور فيه ما حاصله "ان احدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم نعم وياليته كان لاميرنا فقال بعض من حضر لا تعط ارضنا للامير فقال الرجل ولو شاء الامير لاخذه فانكروا قوله فقال سعيد بن العاص "السواد بستان قريش الخ" فقال الرجل لا انه من منايح رماحنا" فانت ترى ان النزاع بين الجند وامير البلد هنا هو النزاع الذى كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق وايّ متشبّث فى ذلك للمؤلّف

فان سعيد بن العاص قال ما قال ردًّا على الجند بدعوى ان الارض لا تقسم بين فاتحي البلاد بل هي تحت يد الخليفة او من ينوب عنه وانما ذكر سعيد قريشا لان الخلافة على زعمهم للقريش خاصة،

قال المولف،

فكان الخلفاء يكتبون الى عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا يبالون كيف يجمعونها فقد كتب معاوية الى زياد، اصطفى لى الصفراء والبيضاء فكتب زياد الى عماله بذلك واوصاهم ان يوافوه بالمال ولا يقسموا بين المسلمين ذهبا ولا فضة، (الجزء الرابع صفحة ٥، واحال الرواية في الهامش على العقد الفريد صفحة ١٠ من المجلد الاول)

ننقل ما اخذ هذه الرواية كما صرح به المولف في الهامش لترى خيانات المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

"ونظير هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري وكان على طايفة ان امير المومنين كتب الي ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المومنين ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء" (العقد الفريد المجلد الاول صفحة ١٠)

فانظر اوّلا، انّه ليس فى هذه الرواية انّ معاوية كتب الى زياد بل ان زياد كتب الى الحكم انّ امير المومنين كتب الىّ، ولعل زياد كذب فى ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانيًا، انّ المولّف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمّال بنى امية من لا يمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ - لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اى الخليفة نفسه،

ثالثا، انّه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استيثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكولٌ الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها، قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فى جمع الاموال باية وسبيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اوّل الاسلام الجزيّة وكثرة اهل الذمّة فكان عمال بنى امية يشدّدون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى فريقة وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصًا اهل خراسان وماوراء النهر فانهم طلّوا
الى اواخر بنى امية لا يمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم
بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ٦٧)

ذكر المولّف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات
متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطاة على القلب يترائى للناظر فيها ان
الناس احيطوا من كل جانب جورًا وعدوانًا فاذا ابقوا على الكفر يعانون من
الشدة ما يكبّهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلًا عسكريًا فمن يذبّ عن بيضة الملك
بنفسه فهو غير ماخوذ بها امّا من ضنّ بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يؤدى
شيئًا من المال ليكون عدّةً للعسكر وعونًا له واوّل من سنّ الجزية وجعل لها
وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرّح بانها هى الوضايع التى قدّرها
عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرهما انّ اقوامًا من النصارى
فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت
عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها
الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شيءٌ يحدّ بين الكفر والاسلام
ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعا او مكرها، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

٢- ولما لم ينفصل الامر بتة وبقى للاجتهاد موضع ومتّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

٣- ولكن مع هذا لم تتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك التفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فامّا ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله اتيا ففى سنة ١٠٠ لما كتب الحجاج الى البصرة بردّ من اسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القرّاء وخرجوا يبكون مع البكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمّرين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة ... فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيد بن ابى مسلم فى افريقية سنة ١٠٢ اهم الّب الناس عليه وقتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنت مستحسنا

عمل يزيد والقصّة مذكورة فى الكامل تحت حوادث ١٠١ سنة وكان اخر ما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فى خراسان فاورث ثورة واشتراك العرب مع الثايرين ونصروهم اما خلفاء بنى امية فلم يثبت من احدهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية على من اسلم من اهل الذمّة فكلّمه ابن حجرة فترك والقصّة مذكورة فى المقريزى بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقصّ عليك بعض خيانات المولّف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القرّاء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكارًا على صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانى صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابى مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم اى قتلهم يزيد بن ابى مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثايرين عليه ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام لم يامر به احدٌ من خلفاء بنى امية وانما كان اجتهادًا من بعض العمّال بناءً على ان اسقاط الجزية يورث نقصًا فى الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمّال عن ضرب الجزية ورتّبوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تألّب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزار بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحضار الرهبان وفرض على كل راهب دينارا" (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٤٩٢ من الجزء الثاني).

ايها الفاضل المؤلف اما هذا لاجتراء اما هذا الاختلاق؟ اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي "ثم قدم البعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة وعريت به شدايد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الا ان دينارا وفى ايامه امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان
فاحصوا واخذت منهم الجزية على كل حالم دينار وهى اول جزية اخذت
من الرهبان، (الجزء الثانى من المقريزى صفحه ٤٩٢)

فهل تجد فى هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز او احد غيره
شدد فى الجزية فاختار الرهبنة طلبا للنجاة من الجزية فما نفعهم وانما فيها
ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شئ فان
الرهبان وان كانوا معافون عن الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصا لا فى
الكتاب ولا فى السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز واخطاء،

انه هذا البحث | لو سردنا كل ما قال المولف عن جور بنى امية وعمالهم
واستيثارهم الاموال واسرافهم فى استلابها وبينا ما فى كل قول من التحريف
والتدليس وتغيير المعنى والخيانة فى النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال
الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا على كشف
بعض دسايسه مع انه قل من كل وغيض من فيض[1]،

[1] ومما يناسب ذكره فى هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الى فكتبت اليه
بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات فى كل موضع وذلك لاجل انى كنت اخاف عليه
التدليس، فاظهر المولف فى مقدمة الجزء الثانى انه عمل بذلك، وبين كراس الكتاب والجزء والصفحة
ولكن من الاسف ان كل هذا ما احدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت فى تطبيق
مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدرى اى نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدنا
الى اكثر خيانا تها ومن المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فيها شيئا من التحريف
والتغيير ومن كان فى ريب من ذلك فليراجع الاصول وليكابد محنة التطبيق ليقوم بما قلته
مع حيرة واندهاش - ١٢

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام
فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لابد فى تاريخ
تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد
والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن
انا اشدك بالله اما كان لاحدٍ منهم مأثرةٌ تُذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع
البلاد ومعدلة تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين وليس
هذا عارًا عليهم ولا فيه حطٌّ لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم
امرٌ خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمعٌ لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن
التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانهم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل
والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم
طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات
لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل احد قسطه واعطى كل ذى حق
حقه لاستراح واستراحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من
الاخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب
اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح
العباسيين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان
دولتهم دولة عجمية وقد مر نبذة فى ذلك سابقا

وحان لنا ان نذكر طرفا من مآثر بنى امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن
السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بنى امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان
والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم
وليس العبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودى فى مروجه
مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان ياذن فى اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ××× ثم
فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى
ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمراة
ومن لا احمد له فيقول ظلمت فيقول اعزروه ويقول عدى الى
فيقول بعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروه فى امره حتى اذا
امر بيتا احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ايذنوا للناس على قدر
منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا
لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوايج من لا يصل
الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلان فيقول افرضوا له ويقول

اخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهدوهم واقضوا حوائجهم + ثم
يوتى بالغداء + والكاتب يقرء كتابه فيامر فيه + حتى ياتى على اصحاب
الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم
على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد
حكاية معترضة "فلنرجع الان الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى اثروه على الاهل والقرابات" ثم ذكر بعد
ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبد الملك فقال المدائنى "كان يقال معاوية احلم وعبد الملك احزم
وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث
المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى)
وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض
معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبد الله بن عمر ومحمّد
بن حنفيّة" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و
عبادته ما فيه كفاءة فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تاميره الحجاج ولكنّ الدولة تحتاج فى ابّانها واوّل نشاءتها

الى مثال ذلك وهذا ابو مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية قتل ستماية الف رجل صبرا وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير في الاسلام ومع ذلك فانى اعوذ بالله ان اقوم ذاتا عن الحجاج ومدافعا عنه"

اما الوليد فكان اهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد "كان الوليد عند اهل الشام افضل خلفايهم واكثرهم فتوحا، واعظمهم نفقة في سبيل الله بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطى المجذومين حتى اغناهم عن سوال الناس واعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قايدا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح" وهو الذى وسع مسجد النبى وذهب البيت قال اليعقوبى ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بماية الف مثقال ذهبا وماية فاعل واربعين حملا فسيفساء * * وبعث الوليد الى خالد بن عبد الله القسرى وهو على مكة بثلثمن الف دينار فضربت صفايح وجعلت على باب الكعبة * * فكان اول من ذهب البيت فى الاسلام وحج الوليد سنة ٩١ لينظر الى البيت والى المسجد وما اصلح منه والى البيت وتذهيبه"

وقال اليعقوبى كان اول من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة واول من اجرى على العميان والمساكين والمجذومين الارزاق،

وقال السيوطى فى تاريخه للخلفاء "وكان مع ذلك (اى كونه جبارا ظلوما)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين

ثم ان الدول تعرف اقدارها باثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلالاثار
التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب
امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت
من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مطلع لطامح
انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام و
مصر وبلاد الفرس فلما تسنمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت
ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف
فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احد من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا
اطرابلس وطبنة وساير بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول
والسند وقبرص واقريطش وردس وغيرها من جزاير البحر وغزوا صقلية وصالحوا
النوبة وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها
وافتتح السند محمد الثقفى احد ابناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت
جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند
وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا
ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك ومن يباريهم فى كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك والرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هنا تانق فى امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امورها لم يسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعيشون فى الارض مفسدين اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين بيعة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع واتبنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوايج وكشفوا المظالم واغمروا المجذمين والعميان والمقعدين فى الصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التى هى كالطل من الوبل اما المصانع فانه حصن هشام المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكى وحفر له خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة وحصن بوفا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذى

هدمه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المرواني ير وساد العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و امر بكبس الصهريج ورمم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احدا مراءهم فى سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع الفهرى بافريقية قيروانها واحد ثواغيرها من المدن والحصون والارباض فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم أمّنوا الطُّرق وعمّروا السُّبل فكان موضع **قيروان** غيضةً ذات طرفاء وشجر لا يرام من السّباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية امنةً مستانسة بعد ما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ٨٨ "ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر
ماهناك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ٨٠ فى زمن عبد الملك امر عامله
بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على فواه
السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى
ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى راحة
خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة
مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق
فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمرو حفر عمالهم الجابرون
الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من
الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر
ام حبيب ونهر حرب ونهر بزيدان ونهر سلم ونهر ناقد ونهر خيرتان
ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزرو ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر
ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها[1] بالبصرة فما بال
غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى
وتذهيبه البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

[1] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

فى كثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من ان يُرى اعلم

وبنو اُميّة هم اول من اتخذ دار الضرب فى الاسلام فكسوا به الاسلام رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونجّوه عما اوعده الروم بنقش شتم النبى صلى الله عليه وسلم عليها وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين عن الفارسية والرومية والقبطية الى العربية فزادت العربية انتشارا ونفوذا ولم يمض بُرهة من الدهر حتى اصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان وهم اوّل من بنى مستشفًى فى الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين جعلوا فيه الاطباء وامروا بحبس المجذومين واجروا لهم الارزاق وهم اول من انشاء دار اللعميان وهم اول من عمل دار الضيافة بعده[٥٢] عمر بن الخطاب وهم اول من رتّب للايتام وتحنن اليهم ورتب لهم المودبين ليعلموهم[٥٣]

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد تخرجهم عزّة وزهر بدره فالقرآن الذى هو عنوان الاسلام وراس العلوم وينبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان وهو اُموىٌّ ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتكّت بهم ففسدت لغتها واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف فى القرآن

---

٥١ راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذرى،

٥٢ اليعقوبى ذكر الوليد،

٥٣ السيوطى ذكر الوليد،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنى امية الى كتابه فوضعوا النقط والاعجام[51] فعصموا به كتاب الله ان يتطرق اليه التصحيف والتحريف تطرقهما الى التوراة والانجيل ووالله هذا اعظم مبرّة بُرّيها الاسلام لا يساويها مبرّة واعظم منّة مُنّ بها على الدين لا يوازيها منة ثم كتب الحجاج المصاحف وفرقها فى الامصار وكان الوليد الذى رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن يحث الناس على حفظ القرآن وكان يجزل الصلات لحفظته ويضرب الذين لم يحفظوه[52] فكثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسير ففى ايامهم نبغت اجلة المفسرين من التابعين وفى ايامهم دُوّن التفسير فى الصحف فاول من وضع فى التفسير ابن جبير بامر عبد الملك[53] ثم مجاهد

اما الحديث فكانوا يدرّون على اهله الصلات ويبعثون اليهم بالهدايا ويجبرون لهم الارزاق لينقطعوا الى حفظ الحديث وروايته ونقله وكانوا يكرمون الفقهاء ويجلّون مقامهم ويراعون جانبهم فقد كان يصيح صائحٌ من بنى مروان فى موسم الحج الا لا يفتى الناس الا عطاء بن ابى رباح، اجلالا لشانه ولكثرة علمه بالمناسك[54] وكان عبد الملك امر الحجاج وهو اميره

---

[51] ابن خلكان ذكر الحجاج، عه ميزان الاعتدال للذهبى ذكر عطاء بن دينار،

[52] العقد اخبار الوليد وابن الاثير سنة ۸۸،

[53] ابن خلكان ذكر عطاء، [54] مقدمة شرح الموطا للزرقانى،

على الموسم ان يقدم ابن عمر في الحج ويقبض اثره في المناسك وكان سالم
ابن عبد الله والقاسم بن محمد والشعبي وميمون بن مهران والزهري و
ايوب بن ابي تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بني امية
وكان اكثرهم عمالا لهم وهم اساطين الحديث وايمة الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة
التاريخ من امر اهل هذا الشان بتدوينها في الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموي فجاء في الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق "انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابي بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لي فاني خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا في الحديث فتوفي عمر ثم وضع الكتب فيه
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]
اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بني امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلي استاذن زياد بن ابيه
وهو والي العراقين يوميذ ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له
صواب رايه فدعا الدؤلي وقال له ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم

[1] مقدمة الزرقاني على الموطا

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهری وعنه میمون وعنه عبد الله الحضری وعنه عیسی بن عمر وعنه الخلیل[1] وهؤلاء کلهم کانوا فی عصر بنی امیّة وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما الشعر نقد ففی عصرهم رقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذکرهم ففحول الشعر وامراء القول وفرسان القریض هم الفرزدق الدارمی وجریر الخطفی والاخطل التغلبی وعمر بن ابی ربیعة القرشی وکثیر عزّة وجمیل بثینة ومجنون لیلی وذو الرّمة غیلان ونصیب وهؤلاء کلهم کانوا یقصدونهم بجیاد قصایدهم فکانوا یغمرونهم بالجوایز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزینة للّغة،

وکانوا یحثون الناس علی اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وکانوا یستوفدون الشعراء ویستزیرونهم ویجیزونهم بالاموال الجزیلة وکانوا یرسلون ابناءهم الی البادیة لیتسلقنوا الادب ویتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادیة وقد جمع الولید بن یزید عبد الملک دیوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[2]،

اما علم **التاریخ والسیر والمغازی** فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره ففحول اصحاب السیر والمغازی هو وهب بن منبه عالم الیمن المتوفی سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهری صاحب عبد الملک المتوفی سنة ١٢٤

---

[1] ابن خلکان المجلد ٢ صفحة ٣٨٠، [2] الفهرست صفحة ٩١،

وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ ولهؤلاء كلهم كتب فى التاريخ والسير والمغازى[١]
ووضع فى ايامهم عوانة المتوفى سنة ١٤٧ كتاب التاريخ وكتاب سيرة معاوية و
بنى امية وكان لملوك بنى امية رغبة شديدة فى استطلاع الاخبار الماضية و
حوادث الامم الخالية قال المسعودى انه كان معاوية يجلس لاصحاب الاخبار
فى كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ثم ينام ثلث الليل ويقوم فيأتيه غلمان
وعندهم كتب فيقرؤن عليه ما فى الكتب من اخبار الامم وسير الملوك وسياسات
الدول ولم يصبر على ذلك حتى استحضر عالم عصره عبيد بن شرية من
صنعاء اليمن وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العجم وسبب تبلبل الالسنة
وامر افتراق الناس فى البلاد وامره ان يدوّن ما علمه وعاش عبيد الى ايام
عبد الملك وتوفى وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب اخبار الماضيين[٢]
واخذ عنه اناس سماهم ابن النديم وكان من رُواته زيد الكلابى فى ايام
يزيد بن معاوية عارفٌ بايام العرب واحاديثها (الفهرست صفحة ٩٠) وقد
كان هشام مشغوفا بالسير والاخبار فنقل له جبلة بعض كتب سير الفرس
من الفارسية الى العربية وامر هشام النقلة فنقلوا له كتاب تاريخ ملوك الفرس
وقوانين دولتهم وتراجم رجالهم وكان هذا الكتاب مصورا ثم نقله سنة ١١٣

[١] راجع كشف الظنون وتذكرة الحفاظ،

[٢] كتاب الفهرست صفحة ٢٤٤،

راه المسعودی سنة ٣٠٣ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ١٠٦)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلهما الی العربیة آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا الکتاب فی خزاین الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثّه فی ایدیهم[1] وخالد بن یزید بن معاویة حکیم آل امیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعةً من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر ومنهم مریانوس الرومیّ الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا والطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنًا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المارّ ذکره رسایل ارسطاطالیس الی الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

[1] اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدناهم فى الاسلام هم اوّل من امر بنقل العلوم الى العربية فى الاسلام هم اول من انشأ خزاين للكتب فى الاسلام وقد اضربنا صفحا عما كان لآل امية بالاندلس فى السياسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجليلة والسير العادلة فهل لك ايها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل والى الرجوع من ضلال الراى من طريق،

صنيع المولف بالعباسية عهدنا الوحوش الضارية مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والتروى بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عايلتها تبدّل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبينما احدهم يئس كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه الهيئة اذ هو هش بش حنون عطوف يذوب لطفا ورقة وكذلك شان قواد الجند وابطال الحرب فانك ترى احدهم اذا قاتل الاقران وناطح الاقران فهو شهاب ينقض ونار تلتهب وسعير تفور واذا عاشر الاصحاب فهو الينهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جرّبنا المولف وعجمنا عوده فى معاملته مع اعدايه (بنى امية) فلننظر كيف حاله فى معاشرته مع اصدقايه (العباسية)

قال المولف.

"فحبب بعضهم الى المنصور ان يستبدل للكعبة بما يقوم مقامها فى العراق تكون حجا للناس فبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغيرا للكعبة وقطع الميرة

فی البحر عن المدینۃ" (الجزء الثانی صفحۃ ۳۰)

وقال،

"واراد المعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیها جنده فانشاء فیها کعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحۃ ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون + فاخذ اشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقهاء وفی جملتها القول بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحۃ ۱۴۱)

غیر خافٍ علی احد ان العباسیة ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیهم فی الریاسة فمعظم فخرهم وابین حججهم انهم بنو عم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم ودُعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وهو موسس دولتهم وفاتحة خلفاءهم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضییقا علی اهلها وان المامون وهو افضل خلفاءهم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وهو فحلهم وواسطة عقدهم بنی کعبةً فی سامرا وجعل لها طوافًا" ولعلك تقول ان الحاکم بالعدل والقایم بالقسط لیس له حمیم ولا عدوّ فهو یتحرّی الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بنى العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميلٍ
اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنةٌ من بنى امية فهو يُوفّي حقهم من الاستحسان
وحسن القول وتنويه الذكر بهم هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب
الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بنى امية عقد لمثالبهم ابوابا منها
استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية
كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد
بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القران
وههنا موضع نظرٍ الى دقّة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف
الغضّ من الكعبة والحط من القران ومن طرف الانتصار للعباسية والذب
عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم
فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسًا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة
الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فالامر ان من يدعى الخلافة (وهى
منصب دينى) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين
والتصبّغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم
شعائره والتدنّى الى خاصّة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب
الاميال ورضاء العامّة والتحبّب الى الناس ولذلك كان الخلفاء (بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلّون بالناس ويؤمّونهم ويحضرون الموسم ويحجّون بهم
اويرسلون من خاصّتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك
لما اراد اهل الشام المكيدة بعلى رضى الله عنه ورفعوا المصاحف كفّ اصحاب
عليّ من القتال ولما قال علىّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم ترتد عن هذا
خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضى بما لم يكن وفق رضاه ولما فعل يزيد
ما فعل ضجّ الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلًا ولما اراد الحجاج
قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد فى الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق
تلقاء الزيادة التى كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق
قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدّر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقنى خمرًا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرًا فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلةً لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل
تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر
شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس
على انكار القرآن والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف فى هذه الواقعة
بابن الاثير وغيره فكله تحريفٌ وتدليسٌ وسوءُ تاوُّلٍ ولولا انى سئمت
من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبيّنت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی
فی مصر فاصبح لفظ العربی مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة
الکلب طرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون
معه نبیٌّ ینصره الله به (الجزء الثانی صفحه ٣١ و٣٢)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و
ساموها الخسف وسلّطوا علیهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم
الامر والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذکر ذلك فی
غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحا الیه وشفاءً لحزازته وهزّةً
لعطفه ونیلاً لاربه ومعران الواقعة مکذوبة او محرّفة علی جری عادته
فنحن لا ننازعه فی ذلك ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول اذا مدح
احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذلّلوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم
المناصب وقلّدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمّة الامور یولّون
ویعزلون وینفقون ویمسکون فهل هذا یکون مدحا ترضی به دولة فرنسا
او یکون هذا عارا یستحی منه ومسبّة یستنکف عنها وشناعة تشمأزّ عنها
القلوب وانصف من نفسك ما کان حظّ العباسیین من تولیة الاعاجم
اما آل برمك فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلك
استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطرّ الرشيدُ الى النكبة بهم وازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسةٌ تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها -

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته - فتر لذلك حِيَلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها في ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية وتارةً باير ادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرًا واذا كررت النظر في كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدّدٌ ونظمت ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا على اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام في اول امره نهضة عربيّة والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس ولاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باحراج غير المسلمين من جزيرة العرب
وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي
الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غيرا لعرب
ولا يُتلى غير القرآن،،

،،اما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان
قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن،،

،،فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان
قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا بعد ئذ بهدم
ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة،،

(الجزء الثالث صفحه ٣٩)

،،وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان
والفرس في الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ١٣٥)

حريق الخزانة الاسكندرية لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد بابًا لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل[1] نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالًا،

قال اولًا،

[1] الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير
القران بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمى الصحابة"

الذى ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل عليه ههنا اقوال منها
"ان الاسلام يهدم ما كان قبله" وكلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد
الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب او احراق الخزاين ولكن لما كان
المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله او لعله
عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبى عليه السلام "لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا آمنّا بالذى انزل علينا وانزل عليكم والهنا والهكم واحدٌ" واىّ
متعلق فى هذا بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان
بما انزل الى اهل الكتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم فلا جل
كون اهل الكتاب غير موثوقين بهم فى الرواية ومنها ان النبى صلى الله
"راى فى يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه
ثم قال لم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى"
وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على عمر
عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها ايدى
النقلة ولذلك قال لم اتكم بها بيضاء نقية، وهذا لا يتلزم بل ليس فيه

ادنى اشارة الى محبوبها والحاق الضرر بها ونزيدك ايضاحا للكلام بما فيه تلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو **القران** وعليه المعوّل وهو المستمسك فى كل باب وكان هو العروة الوثقى فى هذا العصر للصحابة واهل القرن الاوّل و **القران** له عناية كبرى بالتوراة والانجيل وهو الذى نوّه بذكرهما وعظم شانهما، فقال

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، والمراد بالذكر التوراة،

انا انزلنا التوراة فيها هدى،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقا لما بين يدى من التوراة،

مصدقا لما بين يديه من التوراة،

ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه (اى التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من اجلة الصحابة منقطعين الى قرءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بهما بل اخذوا يروون و يتفاوضون كل ما وجدوا من اقاصيص اهل الكتاب ومرويا تهم وقد اعترف بذلك المولف نفسه فقال،

"وقد رايت ان العمدة فى التفسير على النقل بالتواتر والاسناد من النبى

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ امیون لا کتابة عندهم فکانوا
اذا اتشوقوا الی معرفة شئ مما تتوق الیه نفوسهم البشریة من اسباب
الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الکتاب قبلهم من
الیهود والنصاری۔ فکانوا اذا سئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من
اقاصیص التلمود والتوراة بغیر تحقیق فامتلات کتب التفسیر من هذه
المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذکر المؤلف عقیب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من کتب الله
٧٢ کتابا ثم قال،

"فکان للعرب ثقة کبری فیه"، وقال بعد ذلك فکانت کتب التفسیر
فی القرون الاولی محشوة بالاخبار وفیها الغث والسمین مما نقل الیها
من الادیان الاخری"،

فانظر کیف یناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء فی اعتقادهم انه لا ینبغی ان یسود غیر العرب ولا یتلی غیر القرآن
"فرسخ فی الاذهان انه لا ینبغی ان ینظر فی کتاب غیر القرآن"
"فتوطدت العزایم علی الاکتفاء به (ای القرآن) عن کل کتاب سواه
ومحوما کان قبله من کتب العلم"،

ویقول الآن ان کتب التفسیر فی القرون الاولی محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيدك توضيحا وتفصيلاً ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لم يدانه احدٌ فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفّاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رايت احدًا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص احدُ من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من ايامر النبى صوّاما قواما تاليا لكتاب الله طلاّبا للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرًا ++ وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب ،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وكونه عالما اهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء هذا ليلةً وهذا ليلةً، فهذا ان صح ففى الرخصة فى تكرير التوراة وتدبرها،

ومنهم **كعب الاحبار** كان من كبار اهل الكتاب، اسلم فى زمن ابى بكر قال الذهبى قدم من اليمن فى دولة امير المومنين عمر فاخذ عنه الصحابة وغيرهم واخذ هو من الكتاب والسنة عن اصحابه، فهذا كانه تصريح فى ان الصحابة اخذوا عنه علم اهل الكتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبى فى ترجمته "وعنده من اهل الكتاب شئ كثير فانه صرف عنايته الى ذلك، وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الاحبار فى زمانه، وعن وهب قال يقولون عبد الله بن اسلام اعلم اهل زمانه **وكعب** اعلم اهل زمانه،

فهل بعد كل هذا يصح قول المولف، ان الصحابة ومن يليهم كانوا يقولون انه لا ينبغى ان يقرء كتابٌ غير القرآن ومحوا ما كان قبلهم من العلم عياذًا بالله،

قال المولف

ثانيًا جاء فى تاريخ مختصر الدول لابى الفرج" ثم نقل رواية الاحراق برمتها واطال فى اثبات ان ابا الفرج ليس باوّل من روى هذه الرواية

بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمرو الواري وذكرها القفطي
في تاريخ الحكماء"

لا ننازع المولف في ان ابا الفرج مسبوق في ذكر هذه الرواية بالقفطي
والبغدادي ولكن ماذا ينفعه ذلك فان البغدادي وهو اقدمهما من القرن
السادس للهجرة وذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب
تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الكتاب واوهامهم فسبب
ذلك انه يزن التاريخ الاسلامي بميزانٍ غير ميزاننا ولذلك يصغى الى كل
صوتٍ ويستمع لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن له اصول ومبادو قواعد
وما لم يكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها اصلا
منها ان الناقل للرواية لابد ان يكون شهدا لواقعة فان لم يشهد فليبين
سند الرواية ومصدرها حتى يتصل الرواية الى من شهدها بنفسه
ومنها ان يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم،
ومنها ان لا يكون الرواية تخالف الدراية ومجاري الاحوال،
ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل كل شيء بضبط اسماء الرجال
والبحث عن سيرهم واحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق فدوّنوا
كتب اسماء الرجال وكابدوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشري
فعملوا كتبا غير محصورة منها الكامل لابن عدي والثقات لابن حبان وتهذيب

الكمال للمزى وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد
ولابن ماكولا وابن عبد البر ولابن الاثير ولابن حجر وتهذيب الاسماء للنووى
وميزان الاعتدال للذهبى ولسان الميزان لابن حجر

وتجد كتب القدماء من مورخى الاسلام كلها او اكثرها كتاريخ البخارى
وسيرة بن اسحاق وتاريخ الطبرى وابن قتيبة وغيره مسلسل الاسناد
مبينة الاسماء ليمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها،

فاوّل شئ يهمنا فى هذا البحث ان نرى هل ذكر القفطى والبغدادى
هذه الرواية مسندة وذكرا مصدر الرواية واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادى والقفطى من رجال القرن السادس والسابع
فاىّ عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سندٍ ولا رواية
ولا احالة على كتاب،

اما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها اثر ولا عين هذا
تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة واخبار الطوال للدنيورى
وفتوح البلدان للبلاذرى والتاريخ الصغير للبخارى وثقات ابن حبان
والطبقات لابن سعد قد تصفّحناها وكرّرنا النظر فيها ومع ان فتح الاسكندرية
مذكورٌ فيها بقضّها وقضيضها ليس لحريق الخزانة فيها ذكرٌ،

وعلاوة على ذلك فان فى فتح مصر كتبا مختصة بذلك مثل خطط مصر

للكندى وكشف الممالك لابن شاهين، وتاريخ مصر لعبد الرحمن الصوفى و
تاريخ مصر لابن بركات النحوى وتاريخ مصر لمحمد بن عبد الله وغيرها مما ذكرها
صاحب كشف الظنون، والمقريزى جمع واوعى كل ذلك ولم يترك رواية
ولا خبرا يتعلق بمصر الا وذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند
ذكر فتح الاسكندرية،

قال المولف،

واما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلا بد له من سبب والغالب انهم
ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامى واشتغال المسلمين بالعلم
ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعد واحدوث ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين
فحذفوه ولعل الملك سببا آخر، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام عن مثل المؤلف وكيف يقدر ديانة مورخى
الاسلام وشدتهم فى تحرى الصدق ونزاهتهم عن التغيير والتحريف وبراءة
ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غريزته تعمد الكذب والتحريف
والخيانة والمحو والاثبات،

قال المولف،

ثالثا ورد فى ما لكن كثيرة من تواريخ المسلمين + خبر احراق مكاتب فارس
وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف
ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر
ناقل ومورخ وصاحبنا يقول انه ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر
احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص
اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون
وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر
ابن خلدون فتح مصر واسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه
بهذه الرواية اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال
القرن الثامن وبعده فما لم يذكرا انهم من اين اخذا هذه الرواية
لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها،

قال المولف،

رابعا ان احراق الكتب كان شايعا في تلك العصور كما فعل عبد الله بن
طاهر بكتب فارسية (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

يا للعجب، عبد الله بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب
وهذا العصر يمتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت للدولة ورجال
حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يستجلبون الكتب من
فارس وبلاد الروم وغيرها تجد تفاصيل ذلك في فهرست بن النديم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التى ما ذكرها
احدٌ من ثقات المورخين وانما استند المولف ببراون المعلم الانكليزى وهو نقلها
من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها
لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصح قول المولف انّ احراق الكتب
كان شايعًا فى تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان فى تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة
واحراق كتب اصحابها من قبيل السعى فى تائيد الاديان الجديدة،
(ثم ذكر فى تائيد ذلك عمل امبراطور اة الروم واحراق كتب المعتزلة،
نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية
فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

فى تاريخ الاسلام جماعة من ايمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم،
(ثم ذكر بعض الحوادث فى تائيد ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء
واىّ حجةٍ فى ذلك لاحراق كتب اقوام اخر،

انّ هذه القياسات الواهية لا تغنى شيئًا ولكن لو اردنا ان نستشفى

فی ذلک البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین
باثار اهل الذمة ومعابدهم وکنائسهم وامتعتهم وخزاینهم، ان الاصل فی ذلک
عهد النبی صلی اللہ علیہ وسلم الذی کتبه لاهل نجران وقد ذکرہ القاضی
ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشیتها جوار اللہ وذمة محمد النبی رسول اللہ علی اموالهم وانفسهم
وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشیرتهم وبیعهم وکل ما تحت ایدیهم
من قلیل وکثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۷۱)

فکان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا علیه بالنواجذ وتجد فی
کل عهود الخلفاء الراشدین کعهد نجران ومصر وشام والجزیرة ان هذا
الاصل ان ذمة اللہ ورسوله علی ارضهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل وکثیر
محفوظ باقٍ علی حیالتها الاصلیة وعهد مصر هو هذا۔

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامانِ علی انفسهم وذمهم
واموالهم وصلیبهم ومدهم وعدهم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لهم ارضهم واموالهم لا یتعرضون
فی شیء منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العهد
باهل الذمة وغیرهم ومع عهده بانهم لا یتعرضون فی شیء من اموالهم
وکل ما تحت ایدیهم کیف کان یتعرض لخزانة کتبهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم انّ مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتا ونفيًا وممّن التمّ بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم وايت والمعلم دساسى الفرنساوى فى ترجمة كتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريبر الاميركانى صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچتن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوى فى تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوى فى خطبته الاسلام والعلم، وارنمر گلبين، وللمعلم كريل الالمانى رسالةٌ مستقلةٌ فى هذا البحث قدّمها فى المؤتمر الشرقى الّذى انعقد سنة ١٨٧٨م، اوردَ فيها كل ما كتب الباحثون فى هذا البحث نفيا واثباتا وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالة فى لسان الاردو وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطرٌ منها فى جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققى اهل اوربا قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا منهم جيبن المورخ الشهير الانكليزى ودريبر الاميركانى وسيديو الفرنساوى وكريل الالمانى والمعلم رينان الفرنساوى عمدتهم فى انكار ذلك امران الاول انّ الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثرٌ فى كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبرى وابن الاثير والبلاذرى وغيرهم مما مرّ ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف والقفطى وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرًا للرواية

ولا سند۔ والثانی ان الخزانۃ کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلک بدلائل لا یمکن انکارھا،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارۃ علی العرب ** ولذلک منعوھم من تدوین الکتب ** وکان ھذا الاعتقاد ناشئا فی الصحابۃ والتابعین و تمسک بہ جماعۃ من کبارھم وکانوا اذا سئلوا التدوین علیھما ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحۃ ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدۃ فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابۃ کانوا یمنعون الناس عن الکتابۃ والتالیف ونحن لا ننکر ان ھذا کان مذھبا لبعض الصحابۃ والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلک وامروا بالکتابۃ والتدوین اکثرھم عددا واوزحھم میزانا واوسعھم نفوذا وقد عقد المحدث المشھور القاضی ابن عبد البر فی کتابہ جامع بیان العلم (انظر صفحۃ ۳۶ طبع المصر) بابا فی اثبات ذلک ونحن ننقل شطرا منھا، قال "وعن انس بن مالک قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قیدوا العلم بالکتاب وعن عبد الملک بن سفیان عن عمہ انہ سمع عمر بن الخطاب یقول قیدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن ابن عبد اللہ بن مسعود کتابا وحلف لی انہ خط ابیہ بیدہ وعن ابی بکر قال سمعت الضحاک یقول اذا سمعت شیئا فاکتبہ ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انہ کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه فى واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابى قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابى مليح قال
يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله علمها عند ربى فى كتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم قال قيدا العلم قال عطاء
قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الدراوردى
قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابى الزناد
عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما
احتيج اليه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية
بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن على قال
سمعت خالد بن خداش البغدادى، قال ودعت مالك بن انس فقلت
يا ابا عبد الله اوصنى قال عليك بتقوى الله فى السر والعلانية والنصح لكل
مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لا يرى بكتاب العلم باسا
وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا
نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ما تكتب بيت مال وما فى صدرك
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة
وكان يقول وددت لو ان عندى كتبى باهلى ومالى وعن سليمان
بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل ياخذ كل ما سمع فذلك

حاطب ليل ورجلٌ لا يكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل
ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قومٌ ورخّص فيه آخرون قلت له
لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اىُّ شئ كنّا نحن قال اسحق و
سالتُ اسحق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و
كان ثقة قال سمعت سفيان الثورى يقول انى احب ان اكتب الحديث
على ثلاثة اوجهٍ حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه
فاوقفه لا اطرحه ولا ادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه
ولا اعبأ به وقال الاوزاعى تعلّم ما لا يوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و
عن سعد بن ابراهيم قال امرنا **عمر بن عبد العزيز** بجمع السنن
فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارضٍ له عليها سلطانٌ دفترا وعن
ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل و يحيى بن معين يقولان كل من
لا يكتب العلم لا يومن عليه الغلط وعن الزهرى قال كنا نكره كتاب العلم
حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرانينا ان لا نمنعه احدا من المسلمين وذكر
المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئًا الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعنى

الضغط على اهل الذمة

ادعى المولف ان **عمر بن الخطاب** كتب
عهدًا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان الطرطوشى ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابو يوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشد اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ** فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا
انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك
وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم. فلما قالوا ذلك لهم وردّوا عليهم الاموال
التى جبوها منهم قالوا ردّكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا
علينا شيئا واخذوا كل شئ بقى لنا حتى لا يدعوا شيئا (كتاب الخراج طبع مصر صفحه ٥)
فانظر الى هذا العدل الذى عجز البشر عن اتيان مثله واعتراف اهل الذمة
بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية

اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا
اليوم فى ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل
المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماء التقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا
تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهلك امثله من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب
هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلى فى استخراج
احكام الفقه من القران والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا شديدى
التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ١٠) ظن الرجل ان استخدام القياس والراى من
مبتدعات الفرس مع ان اول من سمى بهذا الاسم هو ربيعة الراى صرح بذلك
السمعانى فى الانساب وهو من اهل المدينة وممن اخذ عنه الامام مالك، وان
المالك رض والشافعى رض وابا يوسف رض والامام محمد رض كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب اَرُومةً وموطنًا واداةً وانّ الفارق بين اصحاب الرای والحدیث لیس استعمالُ القیاس وفصل القضیة فی ذلك تجده فی کتاب حجة الله البالغة لشاه ولی الله الدهلوی من متاخری حکماء الاسلام۔ ثم قال المولف "فکان من جملة مساعی المنصور فی تصغیر امر المدینة وفقهائها وخصوصا مالك بعد ان افتی بخلع بیعته انه نصر فقهاء العراق القائلین بالقیاس وکان کبیرهم یومئذ ابا حنیفة النعمان فی الکوفة فاستقدمه المنصور الی بغداد واکرمه وعزز مذهبه"

ظلماتٌ بعضها فوق بعض، ما کان ابو حنیفة ارفع مکانة عند المنصور من مالك فان ابا حنیفة کان هواه مع ابراهیم الخارج علی المنصور وکان افتی بنصرة ابراهیم ولذلك اراد المنصور المکیدة به فاستدعاه وعرض علیه القضاء ولما لم یرض به سجنه وامر بضربه حتی مات فی السجن، اما ما قال عن تصغیر امر الامام مالك فیخالف الروایات الصحیحة الثابتة قال القاضی بن عبد البرّ فی کتاب جامع العلم (صفحة ۶۰) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس یقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانی فدخلت علیه فحدثته وسالنی فاجبته فقال انی عزمت ان امر بکتبك هذه التی وضعتها یعنی الموطاء فینسخ نسخا ثم ابعث الی کل مصر من امصار المسلمین منها نسخة و امرهم ان یعملوا بما فیها لا یتعدونها الی غیرها ویدعوا ما سوی ذلك من هذا العلم المحدث فانی رایت اصل هذا العلم روایة اهل المدینة وعلمهم الخ۔

قال "وکان ابو حنیفة لا یحب العرب ولا العربیة حتی انه لم یکن یحسن الاعراب ولا یبالی به

(الجزء الثالث صفحة ١ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش، استشهد المؤلف فى هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فى تاريخه فى ترجمة ابى حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادى اطال فى مثالب ابى حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رماه بالقياس ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه اقل شئ يومى الى ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما على العباسية المحامين للفرس وكان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ لحماد وهو تلميذ لابراهيم النخعى وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له الناشرون لفقهه القائمون بدعوته اى ابو يوسف ومحمد وزفر كلهم عرب، اما لحن ابى حنيفة فمعلوم انه عجمى وكم من الاعجام الذين هم رؤس الادب ووجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض فى غمار هذا البحث الدقيق الذى يحتاج الى التضلع فى العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الراى وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذى عرفناه قبل ذلك فى سوء طويته وكامن حقده وتحامله على العرب واعتياده بالتحريف وتمرنه بسوء التاول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضى الامر الى بنى العباس واراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه فى ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناءً سماه القبة الخضراء حجًّا للناس وقطع المیرة عن الحرمين وفقيهُ المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها فى امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ٧١)

وهذا كله كذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلا وابرءُ ساحة من ان يبنى بناءً ارغامًا للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع المیرة عن المدينة فلم يكن الا حجرا على محمد وتضييقا عليه لما قام بالخلافة وقد صرّح بذلك المقريزى (الجزء الثانى صفحة ١٤٣) فقال "وذكر البلاذرى ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع المیرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على مواز رته وافتى بخلع بيعة المنصور" فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع المیرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب فى قطع المیرة والمولف يقول ان قطع المیرة انما كان ارغامًا للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته.

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بنى امية فى الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة فى الادب وتنشيطًا لاهله لان الشعر سجيةٌ فى العرب ودولة الامويين عربية

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة أهل البيت الخ
(الجزء الثالث صفحة ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه
لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبني امية من الايادي في ترويج سوق الادب ورفع منار
الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه
بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم في كلامنا عن الفقه ان المنصور اخذ بناصر اصحاب
الراي والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل
الميل الى القياس متواصلا في بني العباس و**الاعتزال** قرب المذاهب الى اصحاب
الراي الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف في جهله بالمصطلحات
الاسلامية حتى انه يقرن بين **الاعتزال والراي** ويعدهما من جنس واحد
ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراي
والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراي والقياس بل كلهم
(الا الشاذ النادر منهم) كابي حنيفة ومحمد وابي يوسف وزفر وابي لولو والطحاوي
والخصاف وابي بكر الرازي والدبوسي وغيرهم كانوا قائمين على **الاعتزال** وكانوا
يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال
لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفي جملتها القول

بخلق القرآن اى انه غير منزل (الجزء الثالث صفحة ١٤١)،

وهل يكون كذبٌ اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزيل اوعدمه فان الاختلاف فى ان هل الكلام صفة حادثه تقوم بالله تعالى وهو صفة قديمة **فالمعتزلة** قالوا لحدوثه حذرا من تعدّد القدماء واهل السنة وغيرهم قالوا بقدمه لان الحادث لايقوم بقديم فامّا ان القرآن كلام الله تعالى منزل الى الرسول فهذا لايختلف فيه اثنان۔

قال واما الفلسفة بحد ذاتها فقد كان اصحابها متهمين بالكفر وكان الانتساب اليها مراد فالانتساب الى التعطيل وقد شاع ذلك فى **بغداد** بين العامة حتى فى ايام المامون ولذلك سماه بعضهم امير الكافرين (الجزء الثالث صفحة ١٧٧) استشهد المولف فى هذا القول باليعقوبى ونحن ننقل عبارته حتى تعرف مقدار خديعة المولف، قال اليعقوبى "وشخص هرثمة من العراق الى مرو سنة ٢٠١ وقيل انه انصرف بغير اذن من المامون فلما دخل على المامون ××× قال من نقرس ولا يمكنه المشى فى محفة ××× وكلم المامون بكلام عليه ودخل معبد بن عامر ابن اسمعيل الحارثى فقال السلام عليك يا امير الكافرين فاخذته السيوف فى مجلس المامون حتى قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس على اولياءك وانصارك واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتكم وقد خشينا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس"، (اليعقوبى صفحة ٥٤٦ و ٥٤٧)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فقدم العرب على المامون و
قالوا انك قدمت المجوس وقال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من
السياسة لا مساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من
اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف " ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول
وخصوصا في وائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا
لراى الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذٍ وتعددت مذاهب اصحابها
في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف
ليست من القران لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء
الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية
الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف
من القران وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور
القران كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد
واثنان اخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم
ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما،

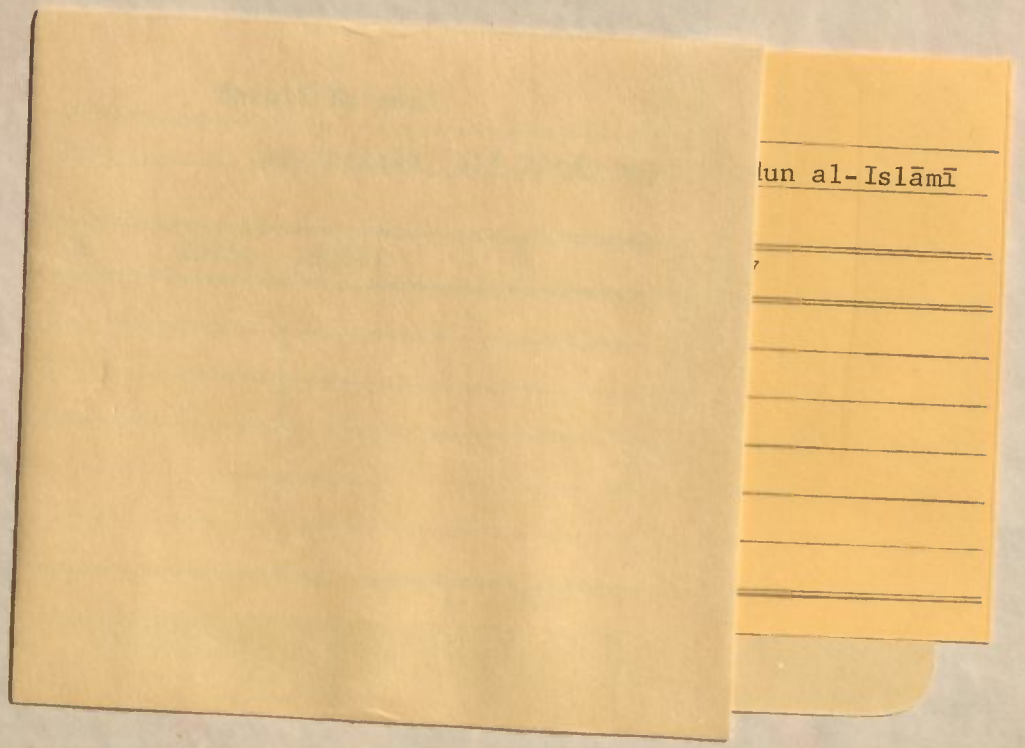
lun al-Islāmī